

مقياس : مدخل إلى العلوم الإنسانية .

ماستر : 1 . أدب حديث ومعاصر .

.أ سهيلة بريوة

الأفواج : ف 01 – 02 .

توطئة :

انبنت نظرية المركزية العرقية، على فلسفة الجدل والاختلاف التي نظّر لها "هيغل"، وكرس من خلالها فكرة التفوق الغربي، بصياغته لفلسفة التاريخ. مفسّرا بها تطور العقل البشري، في صورة تطور الروح المطلق، شكّل الفكر الشرقي طفولتها، وكان الفكر اليوناني معبرا عن شبابها وعنفوانها، وتنصّب بعدها الفكر الغربي المعاصر، ممثلا مرحلة نضجها وكمالها.

وبالتالي صاغ "هيغل" أهم القواعد الأساسية، التي ضخمت الذات، وصاغت علاقة الغرب مع بقية الشعوب، من منطلق المركز والهامش، الموجب والسالب العاجز عن الفعل، وعن الوجود في التاريخ، لأنه حكر على الرجل الأبيض. ورأى فيه أن "مسرح التاريخ الحقيقي هو المنطقة المعتدلة. أو بالأحرى النصف الشمالي منها، لأن الأرض فيها تمثل شكلا قاريا¹. "

كما بلغت هذه النظرية أقصى تطرفها مع فلسفة "غوبينو Joseph Arthure De" "Gobineau العرقية، التي أبان عنها في كتابه الهام "التفاوت بين الأجناس البشرية" حيث يرى فيه "أن التفاوت بين الأعراق موافق لنظام الطبيعة، ولا يمكن لأحد أن يعارض ذلك، وحسب رأيه، فإن الأعراق الدنيا غير مؤهلة للحضارة، إنما خلقت لتخدم بوصفها عبيدا، كآلات حية، كحيوانات جر للأعراق العليا². "

¹ هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ: العالم الشرقي، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2007، ص157.

² نقلا عن: عبد الله إبراهيم، المطابقة والاختلاف، بحث في نقد المركزية الثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، ص35.

وطبعا يقصر صفة الأعراق العليا على "الرجل الأبيض" والجنس "الآري" بالتحديد، أما بقية الشعوب فهي من منظوره "أعراق دنيا" منحطة، وانطلاقا من هذا تغيب فلسفة "غوبينو"، مثلما فعلت فلسفة "هيجل" Hegel "من قبل - تلك الأعراق من الفعل والتأثير، وتجعلها خارج التاريخ، ومجرد أدوات تافهة في يد السيد الأبيض، صاحب العقل والفعل والتغيير .

تأسست المركزية الغربية، من شوفينية فكرية ضيقة، همشت بموجبها بقية الأعراق، وبخست ثقافتهم ومنجزاتهم حقها، من أجل بسط الهيمنة والسيطرة، ولا ننسى أن فكرة تحضير المتوحش، وعصور المد الاستعماري وأهوال العبودية، التي مارسها الشعوب الأوروبية ضد بقية الأعراق، كانت بإيعاز وبتبرير من تلك الفلسفة العنصرية، هذه العنصرية التي بررها "هيجل" في معرض حديثه عن الأعراق البشرية أن "الرق كان فرصة لزيادة الشعور الإنساني بين الزنوج"³ . ولا عجب أننا نرى بعد عقود، كيف تحترق أوروبا بفعل الجذوة التي أوقدتها، فقد أحرق "هتلر" أوروبا، بفعل تشبعه بتلك الفلسفة التي هيأ لها "هيجل" وصاغها "غوبينو"، وكان تلميذ "غوبينو" الانجليزي "هوستن ستيوارت شامبرلين" "Houston Stewart Chamberlain" هو المؤسس الروحي للفكر النازي الذي أحرق أوروبا بأكملها .

أدت هذه الفلسفة، إلى خلق ما يعرف بالعرقية المركزية، وأول من ابتدع هذه الكلمة هو عالم الاجتماع الأمريكي "ويليام ج سومر" "W G Summer" ، وظهرت لأول مرة في كتابه "FoLKWAYS".

مركزية هدفت إلى نشر ثقافة الرجل الأبيض، لذلك سادت في هذه الفترة المثاقفة الاستئصالية، التي تهدف إلى نزع الثقافات الأصلية، بالقوة وتحضير المتوحش .

برز مجال الدراسات الانثربولوجية، الذي يختص بدراسة ثقافات وعادات وتقاليد الشعوب، واستخدم من طرف الغرب، وسيلة لمعرفة الشعوب المغايرة ، وأيضا جعله آلية " تبرر

³ هيجل: محاضرات في فلسفة التاريخ: العالم الشرقي، 181.

الاستعمار كواجب على الغرب تجاه المستعمرات، لنقلها من التخلف إلى الحضارة، وهي بذلك تشرعن واقع الاستغلال البشع لهاته المناطق في العالم⁴. "

وكانت المدرسة التطورية، هي المجال الخصب الذي برر فكرة التعالي عند الغرب، وكرس التفاوت بين الشعوب والأعراق، وإن كانت هذه المدرسة تعد "أول تيار فكري في تاريخ النياسة في أواخر القرن التاسع عشر"⁵ كما يقول "جاك لومبار"، فهي أيضا المجال الخصب الذي برر الاستعمار، وفتح له المجال واسعا، بمقولات لا تستند إلى الواقع والتحليل، بقدر ما تستند إلى مقولات عنصرية جاهزة .

ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة الانتشارية و"إن كانت المدرسة التطورية ترى أن موضوع الإناسة، هو البحث في أسباب التفاوت بين الثقافات، فإن المدرسة الانتشارية، ترى أن هذا الموضوع، هو البحث عن صيغ الانتشار من ثقافة إلى أخرى⁶ . "

إن إشكالية هذه المدرسة، التي بحثت في كيفية انتقال سمات ثقافية، من مجتمع إلى آخر. فتحت المجال شيئا فشيئا، لمقاربات ميدانية تخلصت من الأحكام الجاهزة، واحتكت بالثقافات المغايرة، وإن كانت لم تتخلص بدورها من أسر المركزية العرقية، ومن هدفها الايديولوجي الأول. فقد "كانت الانثربولوجيا ذات النزعة الانتشارية، تركز على مختلف الأشكال الفنية والحضارية المادية في صيغتها الغربية، مبرزة أن هذه النماذج قابلة للنقل والاستنبات بالرغم من المسافات، والسياقات التاريخية⁷ . "

وكانت هذه الأعمال ممهدا لظهور الأنثروبولوجية الأمريكية، التي خلخلت مفهوم التمرکز الغربي، ووسعت من مفهوم الثقاف، طبعا لم يكن مفهوم الثقافة قد ظهر كإجراء، وإن كان قد استعمل بداية من سنة 1880، على يد "J W POWEL" لأن مفهوم الثقاف في حد ذاته، يعبر عن تناقضه التام مع فكرة التمرکز حول الفكر الأبيض، وشيئا فشيئا بدأت تعلو

⁴ عياد أببال، أنثربولوجيا الأدب: دراسة أنثربولوجية للسرد العربي، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص22.

⁵ جاك لومبار، مدخل إلى الاثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997، ص64.

⁶ المرجع نفسه. ، ص124.

⁷ عياد أببال، أنثربولوجيا الأدب: دراسة أنثربولوجية للسرد العربي، ص26.

الأصوات الرافضة، لهذه الهيمنة الفكرية وتدعو إلى قراءة ثانية للتاريخ، وإلى العلاقات بين الثقافات، وكانت مقولات "فرانس بوا" حول النسبية الثقافية هي الفاتحة.

يقول جاك لومبار في مفهوم الاثنوغرافيا او النياسة: "الناسوت هو الجزء الوصفي من النياسة... وهو يتخذ في كصير من الأحيان صيغة الأدراسة (المونوغرافيا) التي تتناول جماعة مجتمعية معينة ، أو مؤسسة تضم عدة جماعات (تقنيات ، زواج ، عبادة دينية ...). ويعتبر ليفي سترأوس أن الناسوت هو المرحلة الأولى من العمل مرحلة جمع المعطيات . وهي مرحلة تستوجب القيام عادة بتحقيق ميداني قوامه المعاينة المباشرة . الأمر الذي يطلق عليه الأنغلو سكسونيون اسم فيلدوورك ... اما "رادكليف براون" أحد مؤسسي المؤسسة الانجليزية فيرى أن الناسوت هو فوق ذلك معاينة الظاهرات الثقافية ووصفها خاصة عند الشعوب المتخلفة"⁸ .

تتداخل مصطلحات علم الاجتماع في حقل الدراسات الانثربولوجية خصوصا في عملية تعريب المصطلح فالانثربولوجيا تقابلها في العربية الإناسة و الاثنولوجيا تقابلها النياسة والاثنوغرافيا تقابلها الناسوت . أما بخصوص التمييز بيم هذه التخصصات الثلاثة التي تشكل في النهاية الانثربولوجيا كتخصص علمي مستقل فهو تمييز يهيمن على الاعمال الكلاسيكية بالدرجة الأولى في حين أن هذا التمييز يكاد يختفي في الدراسات المعاصرة وحسب ليفي سترأوس الذي يرتب العمل الكلاسيكي في الانثربولوجيا ويرتب بشكل خطي عمل الاثنوغرافي (الملاحظة والوصف) وعمل الاثنولوجي (المقارنة والتعميم) وأخيرا عمل الانثربولوجي (النظرية والشرح) .

قمنا في الحصص التي سبقت الجائحة بتوزيع البحوث على الطلبة وفلت أن عملية التقييم النهائية ستعتمد عليها اضافة الى الاختبار ووزعنا مجموعة مواضيع على الطلبة الالتزام بها ، أما الطلبة الذين لم يختاروا في الحصة موضوعا للبحث فعليه فعل ذلك الآن من خلال المواضيع التي ساقترحها . ينجز الطالب بحثه ويرقنه ويرسله الى الايميل الخاص بي وان

⁸ جاك لومبار. مدخل إلى الاثنولوجيا .تر: حسن قببسي .المركز القافي العربي .ط1 1997 .ص: 12- 13 .

كانت هنالك استفسارات يتصل بي على شبكة التواصل الاجتماعي او من خلال منتدى قسم اللغة العربية وآدابها

المواضيع المقترحة :

البحر الغربي في العلوم الإنسانية

البحث العربي في العلوم الانسانية

علم الاجتماع والأدب

تاريخ علم النفس وعلاقته بالأدب

علم التاريخ وعلاقته بالأدب

الفلسفة وعلاقتها بالأدب

العلوم القانونية والادارية

العلوم السياسية .

ايميل الاستاذة : / souhilabrioua8@yahoofr الفايسبوك : souhila brioua